الصراع بين اللغة العربية واللغة النوبية في شمال السودان ، آثاره ، ونتائجه .

مقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

كان بين العربية والنوبية صراع طويل الامد ، كانت الغلبة فيه للغة العربية ، فاندثرت لغة النوبيين من السودان الاوسط بكامله ، وانكمشت رقعتها فانزوت في ناحية من بيئتها بين الشلال الأول والرابع ، وربما فر بعض الناطقين بها غربا واحتموا بالجبال في جنوب اقليم كردفان طلبا للأمن .

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الخطر الذي يهدد عربية السودان المتمثل في غزو بعض مفردات اللغة النوبية للغة العربية لاسيما تلك المفردات المرتبطة بالزراعة ، وادواتها ، واسماء نباتها ، وغلاتها ، وشجرها التي لم يكن لنازل ضفاف النيل من أبناء الجزيرة العربية مدرها ، ووبرها بها عهد .

محاور الدراسة

1ـ تحديد الرقعة الجغرافية التي نشأت فيها اللغة النوبية .
2ـ لمحة تاريخية عن نشأة وتطور اللغة النوبية .
3ـ لمحة تاريخية عن دخول اللغة العربية في السودان .
4ـ تأثير اللغة النوبية على اللغة العربية .
5ـ تأثير اللغة العربية على اللغة النوبية .

الدراسات السابقة

1ـ تأثير اللغة النوبية على عربية السودان الاستاذ شوقي حمزة
2ـ بعض ملامح التراكيب والصيغ النوبية في اللهجة العربية السودانية للباحثين محمد مهدى محمد وزكريا علي احمد ، مركز الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم 20034ـ
3ـ حفريات لغوية في الأصول النوبية للهجة السودانية ، الأستاذ عبدالمنعم عجب الفيا ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، جمعة القاهرة 1987

المحور الأول : مناطق النوبة ، أصولهم ، ممالكهم

تمتد أراضي النوبة في جنوب مصر لتشكل همزة الوصل بينها وبين السودان .واقترن اسم النوبة بحضارة قديمة كانت مواكبة لحضارة المصريين القدماء، بل وتعتبر جزءا لا يتجزأ منها، حيث آمن ملوك هذه الحضارة بنفس الآلهة المصرية القديمة ، كما استطاع بعض هؤلاء الملوك في القرن السادس قبل الميلاد أن يعتلوا عرش مصر، ليدشنوا بذلك الأسرة الخامسة والعشرين في التاريخ المصري القديم.

أورد البعض أن الاسم (نوبة) يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد حيث استخدم من قبل المؤرخ اليوناني آرتثينوس Arathosonius الذي ذكر أن النوبة قبيلة تسكن غرب النيل من مروي إلى الشلال الرابع ، وهم ينقسمون إلى عدة ممالك ولا يخضعون لملك مروي ، وقد أطلقت عليهم أسماء عديدة مثل : رماة الحدق ، أهل القوس ، أرض الذهب ، أرض كوش وغيرها .

وقد تعددت الآراء حول أصل النوبة يمكن حصرها في رأيين :أولهما الرأي القائل بأن أصل النوبة هو النيل ، ثم حدثت منه هجرات إلى غرب السودان ـ كردفان ودارفور ــ في فترات تاريخية مختلفة (رايزنر Reisner1918) (تريقر Trigger 1966) و (استيفنصن Stevenson 1984: 1–2)

ويرى أصحاب الرأي الثاني بالنسبة لأصل النوبة أنهم مجموعات بشرية جاءت من منطقة ما غرب النيل هي غالبا كردفان ودار فور (أركل Arkel 1955 :177 ـ 178و(سامية بشير ، 1996 : 120 ـ 121)

قاد الاختلاف حول أصل النوبة إلى الاختلاف حول أصل اللغة النوبية ، إذ يرى البعض أن اللغة النوبية المتحدثة في كردفان ودارفور مصدرها النيل (مكمايكل Macmichael ، 1932 :ومحمد عوض ، 1956 :289 ومسعد، 1960: 221) ، بينما ترى مجموعة ثانية أن اللغة النوبية المتحدثة في النيل قد وفدت من كردفان مع مجموعة مهاجرة زحفت شرقا نحو النيل (أركل 1955: 174 وشيني Shinne ، 1980 : 87)

ولكن يبدو أن النوبة كاسم وشعب قد بدأ له وجود بعد القرن الرابع الميلادي أي بعد سقوط مملكة مروي حسب تاريخ العلماء لذلك ، إذ يقول شيني(1980 : 87): " قدم النوبة من الغرب في وقت ما ، في بداية القرن الرابع الميلادي وحلوا محل المرويين عندما شارفت المملكة على نهايتها ، وتتفق معه سامية بشير (1996: 118) التي تقول : إن النوبة كانت مجموعات متحركة عبرت النيل والنيل الأزرق في القرن الرابع إلى أرض البطانة ومملكة أكسوم ، وبعد أن استقر النوبة في منطقة وادي النيل ، بعد سقوط مملكة مروي بفترة انتقالية مهدت لانتشار المسيحية ثم الإسلام فيما بعد ، قامت ثلاث ممالك نوبية تزامنت مع التبشير المسيحي في بلاد النوبة وهي:

1ـمملكة نوباتيا : وكانت تقع بين الشلال الأول بأسوان والشلال الثاني في المنطقة التي عرفت بأرض الحجر وعاصمتها فرس

2ـ مملكة المقرة :امتدت ما بين الشلال الثاني والخامس وعاصمتها دنقلا العجوز وقد اتحدت ومملكة نوباتيا في مملكة واحدة عرفت باسم المقرة وعاصمتها دنقلا العجوز وسقطت في أيدي العرب سنة 1323م

3ـ مملكة علوة : تقع بين الشلال الخامس وملتقى النيلين وجزء من الجزيرة وعاصمتها سوبا سقطت سنة 1504م على يد التحالف الذي تم بين العرب والفونج

أما في العصر الحديث فارتبط اسم النوبة بأكبر عملية تهجير شهدتها القارة الأفريقية على الإطلاق، حينما نزح في الستينيات من القرن العشرين ما يزيد عن 120,000 نوبي عن مناطق سكنهم في جنوب مصر ليسكنوا في مناطق أخرى، وذلك بعد أن طمرت مياه النيل أراضيهم بشكل كلي، اثر إتمام مشروع السد العالي كما تم تهجير من بقي منهم في الجانب السوداني إلى منطقة خشم القربة وأطلقوا عليها فيما بعد بمنطقة (حلفا الجديدة). في عملية افراغ كامل لسكان المنطقة جنوبا وشمالا.

المحور الثاني : لمحة تاريخية عن نشأة وتطور اللغة النوبية .

يرجع الباحثون زمن ظهور اللغة النوبية في وادي النيل إلى القرن الثالث من الميلاد. وكتبت اللغة النوبية في العصر الوسيط وهو العصر الذي يسمى عصر الممالك النوبية المسيحية وهو الممتد من 500 ميلادية الى 1500 ميلادية. وقد عرفت اللغة النوبية كسائر اللغات الأخرى استعمال الحروف الأبجدية في الكتابة والتدوين وذلك على الأقل في فترة تاريخية معينة كما هو ثابت ومؤكد من خلال العديد من المخطوطات والوثائق المحفوظة (أسماء إبراهيم ـ كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية - 2001) وقد كتبت اول ما كتبت بالحروف الهجائية المستلفة من الاغريقية. وبالرغم من أن الكتابة والتدوين بهذه الحروف كانت قد بطلت بعد دخول الإسلام في النوبة حوالي القرن الثالث عشر الميلادي إلا أن اللغة النوبية ظلت باقية كلغة متطورة تتناقلها الأجيال ويستخدمها أهلها في مجريات أمورهم من الميلاد وحتى الممات. وممارسة طقوسهم اليومية وذلك طيلة القرون السبعة الماضية وحتى إلى يومنا هذا.

الراجح أن اللغة النوبية نشأت إبان العهد المروي كلغة شعبية بجانب اللغة الرسمية وهي المروية ، وعند قيام الممالك النوبية الثلاث (نوباتيا ـ المقرة ـ علوة) على أنقاض مملكة مروي ، لم تكن اللغة الرسمية واضحة بل كانت هناك عدة لغات من النوبية القديمة غير أنه وإبان العهد المسيحي تطورت اللغة النوبية لتصبح لغة القراءة والكتابة والأدب والتجارة والعبادة بعد أن كانت لغة تخاطب فقط ، وقل استخدام اللغتين القبطية واليونانية في الكتابات الرسمية ، وأصبحت النوبية هي اللغة الرسمية في الوثائق المدونة كالعهود والطقوس الدينية كالصلوات وتراتيل الانجيل . وقد تم إجراء تعديلات على الحروف المأخوذة من اللغتين القبطية واليونانية ليصبح النطق بها مطابقا لمتطلبات اللغة النوبية (انظر حاكم ، 1990: 61) ولكن مع بداية تدفق المسلمين على بلاد النوبة في القرن السابع الميلادي بدأت بوادر تأثر النوبيين بالإسلام وباللغة العربية واستمر تقدم اللغة العربية حتى ذروته بسقوط الممالك النوبية المسيحية (المقرة أولا ثم علوه) في أيدى العرب وقيام الممالك العربية على أنقاضها حيث توقف تماما استخدام اللغة النوبية كلغة رسمية وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد. وزالت بالتالي اللغة النوبية من السودان الأوسط وبقيت في جزء محدود منه وهو شمال السودان وجنوب مصر ..

يمكن تقسيم مراحل اللغة النوبية في نشأتها إلى مرحلتين أساسيتين :

أولهما: هي مرحلة اللغة النوبية القديمة التي تميزت فيها اللغة النوبية مثل كثير من اللغات الأخرى بمعرفة الكتابة والتدوين .وثانيهما : هي مرحلة اللغة النوبية الحديثة التي تميزت بظهور عدة لهجات تفرعت في الأصل عن تلك اللغة الأم الموجودة من المرحلة السابقة. ويمكن تقسيم اللغة النوبية الحالية (لغة المرحلة الثاني) لغوياً إلى مجموعتين أو لهجتين: هي لهجة (الكنوز والدناقلة) ، ولهجة (الحلفاويين والمحس والسكوت) وتسمى الفديجا ، ويقسمها البعض إلى أربع لهجات (كنزي) و(سكوتي) و (محسي) و (دنقلاوي) ومهما يكن من أمر فاللهجات النوبية هي التي يتكلمها الآن الكنوز والسكوت والمحس والدناقلة. ومع هذا التقسيم فان هذه اللهجات متقاربة وليس هناك فروق جوهرية بينها وان كانت الدنقلاوية شديدة الشبه بالكنزية برغم المسافة الواسعة التي تفصل بينهما (اللهجتان المحسية والسكوتية تتوسطانهما) وهو أمر يستحق الدراسة.

وتشير تاريخ مدينة مروي واطلال اهرامات النوبة بأن اللغة النوبية بلهجاتها الخمسة(المحسية والفاديجا- الدنقلاوي والكنزية- لهجة البرقد- الميدوبية -لهجات جبال النوبة) لم تنل حظا وافرا

من الاهتمام في مجال الدراسة، وتتعرض حاليا للأسف لخطر الانقراض والموت على المدى البعيد. ويعود ذلك إلى عاملين رئيسين: العامل الأول غلبة اللغة العربية في المناطق التي انتقل إليها النوبيون، حيث أدى ذلك إلى انزواء اللغة النوبية وتراجع استخدامها ، العامل الآخر يكمن في طبيعة اللغة النوبية نفسها، وهو عدم وجود أبجدية تكتب بها، فكما هو معروف فإن اللغة النوبية هي لغة منطوقة فقط وليست مكتوبة. والجدير بالذكر، أن هذه اللغة قد تم كتابتها من قبل بحروف اللغة القبطية لفترة تتعدى سبعة قرون، منذ القرن السادس وحتى القرن الثالث عشر ميلادي، وهذا ما تدل عليه المخطوطات العديدة التي اكتشفت في منطقة قصر أبريم وغيرها من مناطق النوبة العليا في مصر. تلك النصوص تنحصر بشكل أساسي على نصوص دينية ، تتناول مواضيع الكتاب المقدس.

عايشت اللغة النوبية خلال فتراتها المختلفة العديد من اللغات المختلفة منها ما يشاركها الأصل والنسب ومنها ما يبعد عنها في الأصل (كاللغة المصرية القديمة "القبطية –الهيروغلوفية" ، لغات البجا ، اللغة الرومانية ، اليونانية ، ولغات أخري كثيرة). ولاشك أن كل واحدة منها تركت أثارها على الأخرى مع تفاوت قوة التأثر والتأثير بقوة اللغة وضعفها، وقد استطاعت اللغة النوبية ووسط هذا الكم الهائل من اللغات أن تفرض سيطرتها وان تثبت بقوة أمام تيارات الصراع المختلفة.

فالعربية مثلاً وهي لغة القران والسنة ورغم سطوتها وجبروتها لم تستطع أن تبيد اللغة النوبية أو تزيلها وان جعلتها تنكمش وتنحصر في منطقة ضيقة من مناطق نفوذها السابقة. وبنفس القدر استطاعت اللغة النوبية أن تترك أثارها الواضحة في عربية السودان فقد غزتها وأشبعتها بمفردات نوبية عديدة عد منها د. عون الشريف قاسم حوالي 165 مفردة ومازال الصراع بين النوبية والعربية مستمراً ومازالت اللغة النوبية تقاوم سطوة اللغة العربية ومحاولة الطغيان عليها.

هذا وقد امتازت اللغة النوبية ببعض الخصائص والمميزات منها :

1. اللغة النوبية لا تعرف التذكير والتأنيث. فلا يمكن التفريق فيها بين المذكر والمؤنث. فنقول في مثل: (جاء الولد) تود تارون(تود تاكون بالدنقلاوية) (تود تعني ولد) وفي (جاءت البنت) برو تارون(برو تاكون) (برو تعني بنت) فالملاحظ هنا أن تارون او تاكون والتي تعني جاء بالعربية لم تلحقها أي أداة للتأنيث يجعلها تتميز عن المذكر عند الحديث عن البنت المؤنثة. وهكذا لا نلحظ أي اختلاف في الفعل (تارون)(تاكون) في الاستعمالين أو مثال المذكر ومثال المؤنث. إذاً فالنوبية لغة لا تفرق بين المذكر والمؤنث

2. اللغة النوبية خالية من أداة التثنية وبالتالي فهي لغة لا تعرف المثنى فليس فيها أداة متصلة يمكن الصاقها بالاسم لتدلنا على التثنية. وعليه لا نجد في النوبية مثالاً كالمثال العربي جاء الرجلان .

3. النوبية تجعل الاسم مثناً باضافة لفظ (أووي) أي اثنين نفسها بالدنقلاوية بعد الاسم المراد تثنيته فنقول في حضر الرجلان إد اوي تاجسن او بالدنقلاوية (اقج اوي تاكرن) . فالملاحظ هنا أن كلمة (إد) او(اقج) وتعني)رجل) لم يطرأ عليه أي تغيير فهي تدل على المفرد إلا أن دخول كلمة(أووي) هي التي جعلت من مثنى .

4. يمكن في النوبية جمع العدد واحد ليعبر به كثرة (ويكو بجسن) فهنا جُمع العدد واحد وهو وي ليصبح ويكو أي واحدين وهو بالدنقلاوية (ويريي) وهو أمر مخالف للعربية فيما نرى. وقد

رد بعض الدارسين جمع العدد واحد إلي واحدين في العامية السودانية للتعبير به عن الكثرة مرده تأثر العامية السودانية ببعض التراكيب النوبية.

5. الأصل في اللغة النوبية تقديم الفاعل على فعله بعكس اللغة العربية التي الأصل فيها تقديم الفعل على الفاعل ، فنقول محمد كبن (محمد أكل) او (محمد كلكو) - (محمد كبك كبن) او (محمد كلقى كلكو) محمد أكل الأكل) في المثال الأول نجد الفاعل + الفعل وفي المثال الثاني نجد الفاعل +المفعول به +الفعل. (الجملة الفعلية.(

6. اللغة النوبية تخلو من أداة التعريف ولذا كل الأسماء في النوبية معرفة ما لم يلحق بآخرها أداة التنكير وهي (وي) (وير) وتعني واحد و(ويكو) (ويري (واحدين في حالة الجمع.

7. اللغة النوبية من اللغات التي يمكن أن يتغير معناها تبعاً لإضافة مقطع في بدايتها وذلك على مثال ما جاء في العربية.

المحور الثالث : لمحة تاريخية عن دخول العرب والعربية في السودان .

دخل العرب السودان عبر منافذ متعددة ، فمنهم من جاء من جهة الشمال من مصر ، ومنهم من دخل تلقاء البحر الأحمر ، ومن الهضبة الأثيوبية ، وهناك عرب جاءوا من تونس مرورا بتشاد فغرب السودان ، وهم مجموعات عرب البقارة الجهنية الأصل والحمر وخلافها . وتعتبر اتفاقية (البقط) بين العرب وأهل السودان حدثا مهما في العلاقات المشتركة . والسودان كما هو معلوم يضم القبائل السودانية، وهي القبائل الأصلية التي لم تكن نازحة إلى السودان. وهي في الشمال مجموعات النوبة وتضم الدناقلة والمحس والكنوز والسكوت ، وفي الجنوب تشمل القبائل النيلية ممثلة في الدينكا والنوير والشلك ، وفي منطقة جبال النوبة تجد النوبة بجميع فروعهم وهم يمتدون في ولاية جنوب كردفان، وهناك نوبة في غرب كردفان في (أبو جلوك) وطبق ولقوة وكمدة وتلشي ، وكذلك نوبة الجبال البحرية في ولاية شمال كردفان ، وفي دار فور تطالعك مجموعة الفور وفي جنوب النيل الأزرق هناك الفونج والقمز والبرتا.

هذه هي القبائل السودانية أصلا ، وما عداها من القبائل الأخرى التي تشترك معها الآن في النسبة إلى السودان وتشاركها الحقوق المدنية والسياسية وهي قبائل وافد من الجوار الأفريقي ، أو وافدة من الهجرات العربية ، إذ أن السودان تحيط به مصر ، وليبيا ، وتشاد ، وأفريقيا الوسطى ، وأثيوبيا ، وأرتريا. وكل هذه الدول تطل على السودان بمؤثرات عرقية وثقافية تكسب السودان تنوعا على تنوعه وتجعل وضعه فريدا(جابر محمد جابر ـ التنوع الثقافي والتداخل اللغوي مارس 2000م : 49).

وقد عرف اهل السودان حضارات قبل وصول العرب ، وقامت ممالك مسيحية قديمة ، اهتمت بالعمران ،والفروسية ، والفنون ، والتعدين ، فكانت مروى وعلوة وسوبا فلم يكن السودان خاليا من الحضارة قبل الاسلام . وحينما جاء الاسلام ظهر اول تجانس حضاري بين القبائل السودانية والعربية الوافدة ومعها القبائل الأفريقية النازحة.

وحينما دخلت المسيحية السودان ، احترمت عاداته وتقاليده وموروثاته ، وخالطت شعوبه بقبائله ومجموعاتهم الوثنية ، أو ذات الديانات المحلية ، وإن لم تكن المسيحية دينا شعبيا ، بل ظلت مقتصرة على الملوك وذوي الشأن والطبقات العليا ، وأصبحت المسيحية هي ديانة الممالك النوبية وتعايشت مع الديانات المحلية دون نزاعات . وحينما جاء الإسلام مع العرب إلى السودان استفاد العرب من هذا الواقع السوداني المتسامح ، ولم يدخل العرب مع ذوي الديانات في صراعات مما نتج عنه تحول الممالك المسيحية إلى الإسلام في أريحية طائعة مختارة ولا منكرة مما أدى إلى تمازج بين العرب والزنوج والإسلام والديانات المحلية في إخاء تام معبرا عن القومية السودانية المتسامحة . كل ذلك السودان الشمالي الذي تغلب عليه المؤثرات العربية الإسلامية ،وكل ما ابتعدنا عنه إلى جبال النوبة والأنقسنا تقل المؤثرات العربية الإسلامية ، وتقل تدريجيا إلى تختفي في منطقة جنوب السودان ، وذلك حسب قوة أو ضعف المجموعات العربية واحتكاكها مع المجموعات السودانية إذ العرب مادة الإسلام في المجتمع السوداني ، وإن يكونوا هم الأكثر التزاما به بين مجموعاته وقبائله المختلفة (نفسه :50م) .

وفي السودان ارتبط العرب بالإسلام ، للدرجة التي جعلت هذا التمازج الثقافي الذي تمثل في نواة الوحدة الوطنية الثقافية والسياسية لسودان وادي النيل ، وكل مغرم بالنسب العربي ، فالفور يدعون العروبة ، والفونج يدعون العروبة وبل النسب الأموي ، وبعض مجموعات غرب السودان سواء أكانوا فولاني أو برقو ، يدعون النسب العربي الذي أصبح عند كثير من السودان

من الثوابت التي لا تقبل المساومة وإن كانت أصولهم غير عربية ، وكأنما ارتبط عندهم النسب العربي بالإسلام
وباستقرار بعض المجموعات العربية جنوب أسوان في منطقة المريس ، بدأت تختلط بالسكان الأصليين منذ أوائل القرن التاسع الميلادي مما أدى إلى تعريبهم ، وتأثر القبائل السودانية بالعرب ، حتى إن بعض العرب صار يتكلم العربية بصعوبة ، وتزاوجوا بين أهل المريس ونشروا بينهم الإسلام وتمكن بني الكنز وهم فرع من ربيعة من مصاهرة الأسرة الحاكمة في دنقلا ، وورثوا العرش عن طريق الأم وكانت النتيجة أن المولدين النوبيين اعتنقوا الثقافة العربية والدين الإسلامي وكان منذ القرن الحادي عشر وبمرور الزمن تغلب التيار الإسلامي ، وضعف السياج المسيحي أمام توغل التجار المسلمين وتسرب المهاجرين العرب في أعداد كبيرة : (مهدي المأمون مجلة الثقافة السودانية 1983)
وكانت مملكة النوبة المسيحية حاجزا سياسيا أمام هجرة العرب ، وبسقوطها بدأت تدفقات العرب عن طريق وادي النيل ، من صعيد مصر والصحراء الشرقية متجهة إلى شمال ووسط وشرق وغرب السودان ، وبدأت مرحلة جديدة من التلاقح الاجتماعي والثقافي والتزاوج بين المجموعات العربية النازحة والقبائل السودانية في مناطق السودان المختلفة، فينتج عن ذلك جيل من المولدين يحملون السمات الأفريقية والثقافة العربية ويدينون بالإسلام ، الذي غالبا ما يكون هو دين الآباء وتدريجيا بدأت عملية التحول إلى الإسلام من قبل القبائل السودانية ، وفي يسر دون قسر ، اكتملت هذه العملية بقيام الممالك الإسلامية في سودان وادي النيل ،
وقد ساعد على انتشار الإسلام بين النوبيين قبل قيام تلك الممالك الخواء الروحي الذي كان سائدا بينهم نتيجة للضعف الذي أصاب الكنيسة في دنقلا وعلوه منذ القرن الرابع عشر نسبة لتوقف المدد الروحي من الاسكندرية وعدم حضور القساوسة مما أدى إلى فقر روحي وشظف ثقافي عام ، فكان الإسلام هو البديل لهذه الحالة الروحية والفكرية ورغم انتشار الإسلام فإن الدينين المسيحي والإسلامي ظلا يعيشان في وئام حتى كتب النصر للأخير بطريقة سلمية جدا (مهدي المأمون مجلة الثقافة السودانية 1983)
يبدو ان التعدد اللغوي كان من السمات الثقافية السائدة في بلاد النوبة طوال تاريخها الوسيط ، فكما هو الحال في اسواق افريقيا الغربية الى يوم الناس هذا ، فقد عملت المناشط التجارية وشعائر التعبد الديني المسيحي الى وضع عدد من اللغات المنحدرة من سلالات لغوية متباينة في حيز الاستخدام والاحتكاك المباشر في الممالك النوبية . وهذه اللغات هي : القبطية والعربية والبجاوية وربما كانت من بينها الاغريقية والمروية وبعض لغات قبائل جنوب السودان كما يرجح بعض الدارسين الا ان النوبية قد ظلت اللغة الرئيسية التي يتحدث بها عامة الناس في خاصة شئونهم .وبسقوط دنقلة في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي(سنة 1318/718)، غربت شمس المسيحية عن النوبة السفلى " انتشرت احياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطنوها وملكوها وملاوها عبثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض ابناء جهينة من امهاتهم علي عادة الاعجام في تمليك الاخت وابن الاخت .....ولم يبق لبلادهم رسم للملك لما احالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام. (المقدمة : ابن خلدون)
الا ان العرب قد ظلوا تحت سلطان الملوك النوبيين لقرنين تاليين في النوبة العليا حتى سقطت مملكة علوه بسقوط عاصمتها سوبا في سنة 911/1505 ، فقامت على انقاضها مملكة الفونج

الاسلامية بزعامة عمارة دنقس كبير الفونج وعبدالله جماع شيخ مشيخة قرى ، فطار خبر هذا الاندماج حتى بلغ اقاصي النوبة السفلى ، فدخلت سوبا وقرى –علما المدينتين المزدهرتين اللتين خربهما الغزاة – في معجم اللغة النوبية بمعنى الشؤم والنحس والبلاء.

ان هذه الظروف التاريخية الجديدة التي جعلت المسيحية تندحر اندحار تدريجيا امام الانتشار الوئيد للدين الجديد ، قد وضعت العربية لغة الفاتحين في ظروف مواتية ،واحدثت في سودان وادي النيل علي المستوي اللغوي صراعا جعل العربية في مستوي اللغة العليا وهبط بالنوبية إلى لغة أدنى.

وقد شهدت القرون التالية انصهار العنصر العربي مع العناصر النوبية والزنجية بفعل التزاوج المستمر انصهاراً تولدت منه الشخصية السودانية ،بمكوناتها الخلقية وصفاتها الجسمانية والوراثية الحالية ، مع تفاوت في غلبة هذا العنصر او ذاك تبعا للظروف الجغرافية والبيئية التي حكمت هذا التمازج وحددت قسماته ومساره .

المحور الرابع : تأثير اللغة النوبية على اللغة العربية على مستوى المفردات

اللهجات العربية المختلفة هي حصيلة تزاوج اللغة العربية واللغات القديمة لشعوب هذه البلدان. فاللهجة المصرية مثلا تشكلت من تمازج العربية المهاجرة مع اللغة القبطية. والمغاربية نتاج تمازج العربية مع لغات البربر. واللهجة السودانية هي حصيلة تمازج العربية مع اللغات النوبية والبجاوية والفوراوية والنيلية وغيرها، وهكذا.

وحينما نقول اللهجة السودانية، نعنى لغة الكلام والتخاطب العربية التي يتحدث بها السودانيون بمختلف إثنياتهم وانتماءاتهم الجهوية. ولسنا في حاجة إلى من يذكرنا بان اللهجة السودانية هي مجموعة لهجات، فلا توجد لهجة قومية في العالم تخلو من هذا التنوع والتباين داخل القطر الواحد. الا ان هذا التباين لا يغير من حقيقة وجود لهجة قومية، هي اللهجة التي يعرف بها كل بلد على حده. ففي مصر هنالك اكثر من لهجة : هنالك لهجة الصعيد ولهجات الوجه البحري وسيناء والاسكندرية وقبائل بني على ولهجات الفيوم والواحات وغيرها، اضافة الى اللهجة القاهرية. وفي السعودية هنالك لهجة الحجاز وعسير وتهامة ونجران والمناطق الشرقية والشمالية ونجد وغيرها. وهكذا هو الوضع في سائر البلدان العربية .

هذا، وقد تعرض عدد من الباحثين للأصول النوبية لمفردات اللهجة السودانية وعلى رأس هؤلاء الباحثين الدكتور عون الشريف قاسم وذلك في كتابه العمدة (قاموس اللهجة العامية في السودان) حيث نجده قد عمل ما في وسعه الى رد كثير من المفردات الى اصلها النوبي. غير ان الباحث والمترجم المتميز فؤاد عكود ، في كتابه (من ثقافة وتاريخ النوبة 2007) قد استدرك على عون الشريف انه اغفل رد بعض المفردات الى الاصول النوبية كما انه لم يتوسع ما يكفي في تباين هذه الاصول النوبية او لم يقف على الاصل النوبي الصحيح لها .وقد اورد عكود امثلة تظهر الى اي مدى تغلغلت لغة وثقافة النوبة في اللهجة السودانية واشفع ذلك بشرح وتحليل يكشف عن تمكنه وبراعته في هذا الميدان وقد ساعده على ذلك انتمائه ومعرفته باللهجة النوبية الدنقلاوية .

غير ان فؤاد عكود في بحثه وتقصيه عن الاصل النوبي لبعض المفردات قد أغفل حقيقة التأثير والتبادل والاستلاف المزدوج بين اللغات النوبية واللهجات العربية السودانية، الامر الذي جعله يرجع بعض المفردات الى اصول نوبية بينما البحث يكشف ان هذه المفردات ذات اصول عربية سودانية. فواقع الحال يقول مثلما اخذت اللهجة السودانية العربية الكثير من المفردات النوبية، فان اللهجات النوبية قد اخذت بالمقابل بعض الالفاظ العربية السودانية. وهذا التبادل المزدوج يعد أبرز خاصية في التفاعل والاحتكاك بين اللغات. ولكن قبل ان نورد الاصول العربية لما عده فؤاد عكود نوبي الاصل، يجدر بنا أن نظهر بعض الامثلة التي تفضل بها عكود للدلالة على الاصول النوبية للهجة السودانية ليتبين للقارئ عمق تأثر الثقافة السودانية بالثقافة النوبية. وهذه الامثلة نجد بعضها قد ورد ايضا في معجم عون الشريف قاسم قاموس اللهجة العربية في السودان).

لو أخذنا اسماء الأعلام (الأشخاص) نجد اسماء مثل : نقد ونقد الله وجبر الله وبرسي وقيلي ونابري وتنقاري وحمدتو، ذات أصول نوبية. فنقد تعني عبد. ونقد الله : عبدالله. وبرسي: التوم اي التؤام. وقيلي الأحمر.وتنقاري بالنوبية الشاطيء الغربي اي غرب النيل. ونابري بالنوبية المحسية الذهب. وجبر الله تعني عبد الله. جبر، عبد في النوبية. والجبركل وهي الرجلة تعني في النوبية: طعام العبيد. أما حمدتو، فاصله ولد او ود حمد .والكلمة منحوتة من العربية والنوبية :

حمد، وتود. تود في النوبية ولد .وينطق الاسم في اللسان النوبي: همد- ن- تود. والنون التي بين الكلمتين هي نون الاضافة في النوبية. ثم اسقطت النون فصارت تنطق عند السودانيين، حمدتو .
كذلك كلمات مثل: كوريق، واسوق، عشميق، عنقريب، فهي نوبية وتنطق في اللسان النوبي: كوري ، واسو ، اشمي ، انقري. أبدلت الالف او الهمزة عينا واضيفت قافا إلي آخر الكلمة .
من اسماء الحيوان ذات الاصل النوبي كلمة "قرنتي" وهي فرس النهر في لسان أهل السودان. والكلمة نوبية دنقلاوية معناها، بقرة البحر. وتنطق في اللسان النوبي: أورونتي. اورو = بحر+ تي = بقرة. والنون للاضافة .
ومن الادوات المنزلية لفظ "دوكة" اي صاج العواسة الذي يصنع من الفخار.وهي كلمة نوبية مكونة من مقطعين: ديو+ كا. ديو في النوبية صاج الخبيز او العواسة. وكا، وتعني: بيت، دار. ليصير المعنى، بيت صاج الخبيز او المطبخ " التكل ."
ومن الكلمات التي يظن من ظاهرها انها عربية الاصل الا انها غير ذلك، كلمة " أجاويد" والتي تعني في اللهجة السودانية: الذين يتدخلون للتوسط وحل الخلافات بين الناس. ومنها المثل السوداني الشهير : تسوي بايدك يغلب أجاويدك". والاسم منها " جودية" بمعنى التوسط لحل النزاعات. يقول فؤاد عكود ان الكلمة ليست من الاصل العربي جواد بمعنى الكريم، وانما هي كلمة نوبية الأصل مكونة من مقطعين: آج = مستمر ، واد = الذي يفصل بين المتخاصمين .
وغير ذلك كثير على النحو الذي اورده عكود وسبقه في الاشارة اليه عون الشريف قاسم. مثل : سوسيو، وتبش، وتربال التي تعني في النوبية- حسب عكود : مساك المنجل، ترب= منجل + آر = ماسك .ومثل جيرتق وسبروق وكرتوت وكوار وتقة وكداد وتبن وبتق وكبكبية وعبلانج وأصلها أبلانج وهو القرد وغيرها من الكلمات النوبية التي تزخر بها لهجة أهل السودان .
والآن نعرض إلى بعض مما ظنه فؤاد عكود ذي أصل نوبي وهو غير ذلك. يذهب عكود إلى أن لفظ " شافع" تحريف للكلمة النوبية : شافا وجمعها شافري وتصغيرها شافيد بمعنى الطفل أو الولد الصغير. غير أن لفظ "شافع" قد ورد في معجم لسان العرب بمعنى وليد الناقة و الشاة، او الناقة والشاة التي يتبعها وليد. ويقال " ناقة شافع اي في بطنها وليد او يتبعها وليد يشفعها .
وسميت الناقة شافعا لان ولدها شفعها وشفعته هي فصارا شفعا" أي أثنيين .وقياسا على ذلك نقول خصص لسان أهل السودان لفظ شافع للولد الصغير الطفل، لكونه يشفع أمه. وأغلب الظن ان الكلمة النوبية تحريف للاصل العربي.
يرى فؤاد عكود أن لفظ " تيراب" محرف من الأصل النوبي "تيري". غير أن تيراب وردت في معجم لسان العرب كواحدة من صيغ كلمة "تراب". وقد خصص لسان أهل السودان لفظ تيراب العربي للدلالة على البذور تزرع في باطن الأرض ولعملية زراعة هذه البذور كذلك. والجمع "تواريب". وقد وردت كلمة "توارب" في ذات المعنى في شعر المتنبى. وقد أخبرني الأستاذ الدكتور عبد الله حمدنا الله في نقاش حول ما نشرناه في مقال سابق عن (تواريب وتقاوي) أن عباس محمود العقاد، قد استعمل كلمة " تواريب" بالمعنى المشار إليه في إحدى قصائده .
ويذهب عكود إلى ان كلمة " فر" بمعنى طار، ومنها قولهم: قلبي فراني، إذا اضطرب فجاءة بسبب الخوف، نوبية. ونقول: فر، عربية وهي في تاتي في الأصل بمعنى هرب وتستعمل مجازا في اللهجة السودانية في معنى طار. يقولون طار فر: إذا هرب طائرا بغتة محدثا فرفرة بجناحيه. وقولهم : قلبي فراني إذا اضطرب بسبب الخوف أو الفرح، فيه استعارة. ومنه قول

الشاعر في الاغنية التي يؤديها أحمد المصطفى: طار قلبي مني. وفر تعني أيضا فرد وبسط. يقولون فر الثوب إذا بسطه .والفرة، طائر معروف في السودان ولعله سمي بذلك لانه يفر بغتة من بين الأعشاب والحشائش كونه لا يطير إلا إذا دنوت منه كثيرا فيفاجؤك بطيرانه "فر" حتى يكاد ينخلع قلبك .

يقولون في كلامهم : كدي، ومنها قولهم : ابعد كدي او زح كدي. ويذهب فؤاد عكود إلى انها نوبية بمعنى لحظة أو برهة أو بعض الشيء. نقول إن كدي وكدا بالكسر، عربية أصلها كذا أبدلت الذال دالا. وكدي فيها إمالة. وقولهم: ابعد كدي او كدا معناها زح عن هذي الناحية أو إلى تلك الناحية او إلى ذاك المكان. أما " مو كدي" أو "مش كدا" تعني أليس كذلك؟ .وكدي! في صيغة الاستفهام والتعجب تعني أهو كذلك أو أهكذا؟ .

الدفيق في كلامهم ما يتدفق من عسيل الثمر قبل اكتمال نضوجه أو جنيه ويسمى البلح الاخضر غير الناضج عند أهل الشمالية دفيق. ومنه قول الشاعر اسماعيل حسن :الدفيفيق الدابي ني – أهلو ضنوا عليهو وعلي. وذلك كناية عن حداثة سن المحبوب .شبهه بالثمر الحلو الذي تدفقت حلاوته ولم يكتمل نضوجه بعد. ويرى عكود انها من الكلمة النوبية "دفي". غير ان صيغة الكلمة ودلالتها تشير بانها من دفق يدفق اندفاقا فهو دافق، ودفيق اسم مفعول. ومنها قوله تعالي:" خلق من ماء دافق" اي من اندفاق ماء الرجل في عسيلة المرأة وهو الدفيق في كلامنا كدفق حلو الثمر قبل نضوجه. وأغلب الظن أن دفي النوبية مأخوذة من دفيق

كذلك يذهب عكود إلى أن "كلكل" بمعنى زغزغ او داعب بالأصابع في اللهجة السودانية، نوبية. ولكنه لم يزد على ذلك ولم يبين أصلها النوبي. والكلكل في لسان العرب ، الصدر. يقول أمرئ القيس في معلقته :

وقلت له لما تمطي بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

ومن ذلك نرجح أن اللفظة السودانية مشتقة من الكلكل اي الصدر او أسفل الصدر حيث موطن الزغزغة المثير للضحك في جسد الانسان .

كما يذهب إلى أن "شكشاكة" بمعنى رزاز المطر الخفيف المستمر نوبية الأصل استنادا على معجم امبروستور للألفاظ النوبية الدنقلاوية من غير بيان لهذا الأصل النوبي. قلت: الشكشاكة في اللهجة السودانية وهو المطر الخفيف المتقطع غير المنهمر، مشتقة من الكلمة العربية شك يشك. بمعنى طعن وهتك. ومنه قول عنترة بن شداد في معلقته :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم .

والمعنى كما يقول ابن فارس في معجم (مقاييس اللغة) ، طعنته فداخل السنان جسمه. والشك التداخل والانتظام . تقول : شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما. قلت: ومن ذلك شك ورق اللعب "الكوتشينة" اي خلطه وأعاد نظمه وترتيبه. ويشك السلاح وهو شاك السلاح اي شكك بعضه في بعض وضده نثر السلاح .ومنها قولهم نثر كنانته اذا أخرج السهام من الكنانة وهي الوعاء التي تحشر وتحفظ فيها السهام. قلت: سميت الشكشاكة بذلك لكون ان قطرات المطر الخفيف المتقطع في تساقطها وتداخلها وتتابعها، تشبه شكة الرمح ووخز السهام. أو قل لتساقطها بانتظام، فالشك هو انتظام او نظم. يقولون انتظم في السلك الفلاني .

نكتفي بهذا القدر الذي يفي بإعطاء صورة عن عمق تأثير اللغات النوبية في اللهجة السودانية كما يظهر في ذات الوقت التأثر المتبادل بين النوبية والعربية وكل ذلك يؤكد ان الثقافة السودانية هي كل مركب ومزيج متشابك لا يعرف النظرة الاحادية السطحية التي تهدف الى اختزال هذا

الكل في بعد واحد: إما أبيض أو أسود: افريقي نوبي صرف او عروبي صرف، وهيهات! فتلك نظرة غير واقعية وغير ديالكتيكية وغير تاريخانية.
يقولون لنواة الدوم أو المانجو = الكديق.
ويقولون للركن (مثلاً ركن الغرفة أو ركن المنزل = الكيم kim وهذه أيضاً تسمية نوبية
ويقولون للرطب أي رطب ثمرة البلح عندما ترطب = الجقروك jagroc ، وهي في الأساس تسمية نوبية تعني نفس الرطب.
ويقولون للمكان الذي يجمع فيه محصول مثل القمح والفول المصري وغيره من المحاصيل (التقي) tagah بفتح التاء والقاف والسكوت علي الألف مخفف . وهذه في الأصل تسمية نوبية ولم نجدها في أي مرجع من مراجع اللغة العربية .
ويقولون التقند tagnad وهي تعني حافة الحوض ، أو المرتفع الترابي الذي يحد حوض الزرع وهي في الأصل تسمية نوبية.
ويقولون العشميق ، حتي إننا كثيراً ما نسمع الكابلي يغني

(عشميق حبل الوجج) وعثمان اليمني
(أبوك يفتل في الحبال ما خلي شيتاً إسمو عشميق)
والعشميق ashmiq هو الذي يستخرج من لحاء الخلة ويستعمل لصنع الحبل.
ويقولون الكروق وهو ما يقطع من الجريد ويتبقي في الخلة ويستخدم كدرج للطلوع علي النخل وهي في الاصل تسمية نوبية.
وقد أخذت أسماء أجزاء الساقية وأدوات الزراعة والتي يستعملها متحدثي اللغة العربية في شمال السودان علي أنه من العامية العربية الخاصة بهم.
الكرب krab ـ وهو قصبه الخشب السميك التي توضع علي رأس الثور وبه يتم تحريك الساقية
الإسلانق islang ـ وهو الخشبة الصغير التي يأتي داخل الكرب ليكون الكرب في شكل ال (L)وبه يتم تحيكم رباط الكرب علي رقبة الثور.
الكوديق koudig ـ ويعني الحفير الذي يتجمع فيه الماء ومن ثم تقوم الساقية بغرف الماء منه.
السبلوق sblog ـ وهو الزير الصغير الذي يربط في مجموعات لتتدلي وتغرف الماء بمتوالية مستمرة .
والكثير الكثير من المفردات
ومن أدوات الزراعة كلمة (واسوق) وهي أداة مصنوعة إما من الخشب أو الحديد يربط في طرفاه حبلان طويلان يستخدم للردم وعمل الجداول بواسطة ثلاثة أشخاص ، أحدهما يغرزه في التراب بينما يجذبانه الآخران نحوهما وذلك في عمليات ردم التراب (الألبل) أداة مصنوعة من الخشب أو الحديد في هيئة هلال يثقب في أعلاه ويركب فيه عود بدلا عن الحبال ويجرف به التربة من قبل شخص وواحد (الكرك) وهو أيضا عل نفس هيئة الألبل إلا أنه ذو أسنان طويلة تساعد في جذب بقايا الحشائش الجافة وجزوع النبات القديمة .

تأثير النوبية على اللغة العربية على مستوى التراكيب

كان بين العربية والنوبية صراع طويل الامد كانت الغلبة فيه للغة العربية ،فاندثرت لغة النوبيين من السودان الاوسط بكامله ، وانكمشت رقعتها فانزوت في ناحية من بيئتها بين الشلال الأول والرابع.

وربما فر بعض الناطقين بها غربا واحتموا بالجبال في جنوب اقليم كردفان طلبا للأمن . ولما كانت اللغة المنتقلة الي بيئة جديدة تأخذ شكلاً يستمد بعض جذوره من لغات البيئة الجديدة التي صارعتها ، فقد انتقلت الي اللهجة العربية بعض الخصائص الصوتية من اللغة النوبية فالخلاف الصوتي الذي تتميز به اللهجات العربية المعاصرة في الاقطار العربية لا يمكن تفسيره علي ضوء اختلاف لهجات القبائل العربية التي هاجرت الي هذه البيئات فحسب ذلك لان الاسانيد التاريخية تبرهن علي ان بعض القبائل ذات اللهجة الواحدة قد توزعت بين معظم هذه البيئات ولم يكن من المالوف – كما يذهب بعض الدارسين – ان تختص كل قبيلة بقطر من الاقطار.

ومن اثار هذا الصراع ونتائجه ايضا ان اقترضت العربية في السودان من اللغة النوبية مفرداتها الحالية المرتبطة بالزراعة وادواتها واسماء نباتها وغلاتها وشجرها التي لم يكن لنازلة ضفاف النيل من بناء الجزيرة العربية مدرها ووبرها بها عهد . وهذا مايعرف عند الدارسين باقتراض الالفاظ وهو امر لم تنج منه لغة ما لانه وليد الحاجة . ومن امثلة الكلمات النوبية المقترضة LOAN WORDSفي اللهجة العربية السودانية "المريق " و"المقاد " "والاشميق "والبرتمودة " و"الدوكة " و"والمترة " و" الاسكاق "و"التقند" و"الالس..... " الخ ، وبعض هذه الكلمات تحمل ميسم تعريبها وهو اضافة اللاحقةSUFFIX EG

ونحن نضرب صحفا عن اقتراض الالفاظ مكتفين بالأمثلة القليلة التي سقناها لنقدم نوعا اخر من الاقتراض يتعلق بالتراكيب والصيغ وهو امر لم يتعرض له الدارسون المشتغلون باللغة النوبية فيما نعلم .والامثلة التي نقدمها هنا مستقاة كلها من لغة واحدة من لغات المجموعة النوبية وهي النوبيين NOBIN او لغة المحس / الفاديجا كما يسميها نفر اخر من الدارسين ولتوضيح الصلة بين النوبيين NOBIN واخواتها ، نقدم هنا شجره المجموعة النوبية كما وضعها رونلا :استيفسون Stevenson2–1 :1984 النوبيون ـ المحس / الفاديجا (النوبين(

(أ) النيليون الكنزية الدنقلاوية ،داير ، كدرو

(ب) الجبليون : غلفان ، الدلنج ، الحجيرات

(ج) كدرو الغربية ، كركو ، والي ، ميدوب ، برقد ،حرازة (لغة مندثرة)

وترتبط لغة المحس / الفاديجا NOBIN بصلات قربي وشيجة مع الكنزية الدنقلاوية علي نحو يحملنا علي الاعتقاد بان الصيغ المستعاره من النوبيين NOBIN في العربية السودانية تقابلها مثيلاتها في الكنزيه الدنقلاويه OSHKER حتي ولو تباينت المفردات الموظفة في كل من اللغتين في اداء هذه التراكيب والمعاني الا اننا نرجي البحث في هذه المسالة الي حين تناولها في دراسة اخري منفصله في المقايسة النحوية للغات النوبية (محمد مهدى وذكريا : مجلة الدراسات السودانية 32 : 1995 .

الامثلة

(1) قاعده ag= تستخدم اللغة النوبية الفعل آقag ؟؟للجلوس وهو يتصرف تصرفا كاملا تبعا للازمنه المختلفة ووضع الفاعل معه مفردا كان او جمعا وتبعا للضمير: من متكلم او مخاطب او غائب ، او فردا كان او جمعا .

ويعد الفعلtig مرادفا synonym للفعل الاول من حيث المعني ويتصرف تصرفا تاما مثله تبعا للاعتبارات التي قدمنا ،الا ان هنالك بين الفعلين فروقا: فقد اقتصرت النوبية علي استخدام الفعل للقعود والجلوس علي اطلاقها، واختصت الثاني بمعني الكينونية اذ جعلت منه فعلا مساعدا AUXILIARY VERB يستخدم مع فعل اخر، ماضيا كان او حاضرا بغرض صياغه الماضي المستمر Past Continuous أو الحال المستمرpresent continuos

إن صياغه مثل هذه الجمل تكون في النوبية علي النحو التالي:

الاسم او الضمير+الفعل المساعد+الفعل
(اق+) (ag مميزات صرفيه ولواحق داله علي الزمن والعدد والجنس والهيئه.....الخ
ولنوضح ما قدمناه بالأمثلة التالية-:
الفعل=المميزات الصرفية الاسم
(في الماضي) (فى المضارع) اوالضمير
(sing) Buru-1 Kab-I Kab –on
Nouns
(p1.) Buru-wi 1 Kab-innan Kab-san
1st Person sing. Ay Kab-ri Kab-si
2nd " " Ir ag Kab-nam Kab-onam
3rd " " Tar Kab-in Kab-on
1st " p1 U Kab-ru Kab-su
2nd " " Ur Kab-rokkom Kab-sokkom
3rd " " Ter Kab-innan Kab-san
وتقابلها في اللغة الإنجليزية الجمل الآتية:
(Sing.) The girl is eating was eating
Nouns
(p1.) The girls are " were "
1st Person sing I am " was "
2nd " " You are " were "
3rd " " He is " was "
1st " p1 We are " were "
2nd " " You are " were "
3rd " " They are " were "
وقد انتقلت هذه التراكيب النوبية الي اللهجة العربية السودانية التي اخذت تستخدم الفعل المساعد اق ag مترجما الي (قاعد) في تراكيبها .ويمكننا توضيح توظيف اللهجة العربية السودانية للفعل المساعد علي النحو التالي-:
(ا) في الحال (المضارع
الاسم او الضمير +الفعل المساعد +الفعل
(قاعده+مميز صرفي دال علي العدد والجنس)
امثله-:
الولد/هو قاعد ياكل
البنت/هي قاعده تاكل
انا قاعد اكل
انتو قاعد + ين تاكلو
هم قاعد + ين ياكلو
هن قاعد + ات ياكلن
(ب) في الماضي-:
الاسم او الضمير +الفعل الناقص_ +الفعل المساعد +الفعل
(كان +ميز (قاعد + مميز صرفي
صرفي دال علي العدد والجنس
امثله-:
الولد/هو كان قاعد يشرب

البنت/هي كان +_ت قاعد + ه تشرب
انا كنت قاعد اشرب
انتو كنتو قاعد + ين تشربوا
هم كان + و قاعد + ين يشربوا
هن كان + ن قاعد + ات يشربن
هذا وقد تولدت من هذه الاستعارة للفعل المساعد في اللغة النوبية عبارات مربكه الدلالة في اللهجة العربية السودانية لا تستقيم للمنطق العام نحو-:
(1) قاعد يصلي بالناس.
فهي لا تعني انه يؤم الناس في الصلاة قاعدا، بل : انه يصلي بالناس اماما فحسب .
(2) كان قاعد يلعب معانا كره قدم.
فالعبارة لا تعني انه كان يشاركنا اللعب جالسا لعلة به ، بل : كان يلعب معنا كره القدم.
أسكت يرجح ان الفعل huss من الكلمات الموحية بالدلالة onomatopoeia مثل كلمة cuckooفي الانجليزية ، وكذلك الفعل kok في النوبية بمعنى "طرق " . والنظر في الصلة بين الالفاظ ومدلولاتها يعود الى ازمان ظهور القضايا اللغوية في التراث الفلسفي عند اليونان ، فقد ظل الخلاف محتدما بين الطبيعيين واهل المواضعة القائلين بالعلاقة العرفية بين الدال والمدلول ثم انتقل هذا الخلاف الى العلماء العرب فقد كان منهم من يرى ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية ، واشهر من عرف عنهم هذا الراي عباد بن سليمان الصميري ، وكان من يرى رايه سيقول انه يعرف مناسبة الالفاظ لمعانيها ، فسئل : ما مسمى " ادغاغ – "وهو بالفارسية الحجر –فقال : اجد فيه يبسا شديدا واراه الحجر ، اما اللغوي الكبير ابو الفتح عثمان بن جنى (392ه/9002م) فقد نظر في الالفاظ وصلتها بمدلولاتها في ابواب عقدها في الخصائص ، كتابه الذائع الصيت منها : تلاقى المعاني على اختلاف الاصول والمباني والاشتقاق الاكبر وتطابق الالفاظ لتطابق المعاني وامساس الالفاظ اشباه المعاني وقوة اللفظ لقوة المعنى.
وفي مقابل huss في النوبية تقف في العربية الحالية "صه" "ومه" بمعني اكف ، تقولهما للرجل اذا أسكته وسكته ، ويقال مه مه بالرجال اذا زجره وربما وقعت "هس " في بعض اللهجات العربية.
عاد تأتي كلمة wida في مواضع كثيرة في الجمل النوبية : أولاً وآخراً وفي منتصفها كذلك ، دون تقيد بأنواع منها ، فهي داخلة على الجمل المثبتة والمنفية والاستفهامية والتعجبية والطلبية ، إسمية كانت أو فعلية . وكلمة wida هذه التي يمكن ترجمتها حرفيا الى "عائدا" او "عودة " تأتى لغوا في كلامهم ، ذلك ان العبارة لا تتأثر بإسقاطها تأثرا مخلا بالمعاني على اية حال .
انتقلت هذه الكلمة الى اللهجة العربية السودانية مترجمة الى " عادة " وهذه كما تري فعل verb , وهى في اصلها النوبي تأتى لوصف الفعل adverb احيانا ، وكذلك تجئ في مواضع اخرى على نحو لا يتأتى لنا وصفة وتصنيفه في لغة لم يتصد اهلها بعد لتقعيد نحوها . الا انها على كل حال تستخدم في اللهجة العربية السودانية على النحو الذى بيناه في اللغة النوبية مع كونها كذلك لغوا في الحديث يمكن اسقاطه . فلنقدم بيان ذلك ببعض الامثلة من اللغة النوبية وما يقابلها في اللهجة العربية السودانية.
الامثلة-:
i) minna ha –awru? شنو عاد حنسوى شنو = wida ii) wida minna حنسوى شنو
iii) minna ha – awry widu حنسوى عاد– ha – awru ?
iv) minna wid ha- awru? شنو عاد حنسوى
ذكر العالم اللغوي بروان بأن اللغة النوبية لغة قريبة جدا من وجدان المتحدث والمستمع وليست هي الوحيدة فهنالك لغات شبيهة كثيرة بعضها في اندثار .. وربما كان ذلك وراء بقاء هذه اللغة رغم ما نال المتحدثين بها الاوائل من تغييرات كثيرة فلقد اتت الي منطقة النوبة اجناس عدة مختلفة الالسن والارث ولكن كل هذه الاجناس تلاشت لغاتها تدريجيا وبقيت النوبية هي لسانهم

وهنا اتذكر ما قراءته في كتاب ان الاخويين حسن وحسين كاشف وكل منهما كان يحكم جزءا من النوبة وكلاهما من نسل غير نوبي كان لا يعرفان لغة لهما الا النوبية ...وان نسلهما وهي اسر ممتدة تزاوجت وتصاهرت مع اسر نوبية اصيلة بامتداد الارض النوبية لم تعرف الا النوبية لغة لها .. هكذا غلبت اللغة النوبية علي لسان عرب وترك وصرب والبان ومماليك ومجر وتكارنة اتو اما لتجارة او حرب او في طريقهم جنوبا او شرقا وجعلت الارض النوبية ارضها واهلهم اهلها

وعندما هجرت مجموعات منا مقدرة بأمر العسكر في مطلع ستينات القرن الماضي الي شرق السودان "منطقة خشم القربة وكانت بها اجناس سودانية مختلفة من زغاوة وبجا وزبيدية ليست لغتها الام هي العربية كالمهجرين النوبيين الذين اتو اليهم فوجدنا ان كثير من هذه المجموعات سراعا ما تحدثت بالنوبية وشاركتنا افراحنا وغنائنا واتراحنا ولهم فضل كبير في تسهيل امور كثيرة للمهجرين الجدد من زراعة وعمل فصاروا مع النوبيين المهجرين قماشة من نسيج اجتماعي سوداني متنوع....

الاستعارة بين اللغات امر شائع واللغة العربية استعارت كثيرا من لغات اخري فارسية وحبشية وكلدانية وسومرية ومؤخرا الانجليزية فقبل اعوام قليلة ادخل مجمع اللغة العربية كلمات "برمجة " و "برمجيات" و"برامج" كمفردات عربية مستعارة وهي مأخوذة من اللفظ الانجليزي programm...

إن الامتداد النوبي تاريخيا الي جنوب الخرطوم الحالية وهجرات نوبية كثيرة في ازمنة مختلفة لها بالتأكيد اثر كبير في ان تستعير العربية والتي هي لغة غالبة في وسط السودان وشماله الجغرافي وغربه مفردات منها كما استعارت النوبية مفردات ذهبت حتي بالمفردات الموازية لها بالنوبية وقلائل هم الذين يتحدثون نوبية خالية من مفردات عربية مستعارة او اصيلة ...

وما ذكره استاذي شوقي حمزة عن الكنوز وانهم جماعات نوبية كانت موجودة اصلا وتتحدث احدي انواع النوبية القديمة وهي الكنزي او الاوشكري امر حقيقي فالعرب لم يهاجروا جماعات كبيرة بحيث اتوا الي ارض خالية من البشر وعمروها وانما كانوا يتحركون اما افرادا او قوافل صغيرة الا في حالة الحروب وهذا امر اخر اي ان العرب لم يعانوا من Exodus اي هجرة جماعية ..واتت جماعات او افراد منهم الي مناطق الكنوز وتعايشت معهم بالتزاوج والمصاهرة وتحدثت لغتهم لنفس الاسباب التي ذكرتها اعلاه (محمد مهدى وذكريا : مجلة الدراسات السودانية 36 : 1995)

المحور الخامس : تأثير اللغة العربية على اللغة النوبية .

الواقع يقول إن اللغات المحلية في مناطق التداخل اللغوي في انحسار مستمر لصالح اللغة العربية التي احتكرت مجال الاستخدام اليومي، وبدأت اللغات المحلية منذ أمد بعيد في التناقص الكمي لعدد المتحدثين بها، فكلما ولد طفل كانت العربية قد اكتسبت متحدثاً جديداً، وكلما توفى شيخ هرم تكون اللغات المحلية قد خسرت متحدثاً أصيلا.
فالعربية هي اللغة الوحيدة بين الأطفال والغالبة بين الشباب، ومتساوية مع اللغات المحلية بين الآباء والأمهات، بخلاف اللغات المحلية إذ هي المتداولة بين الشيوخ وتقل عند الآباء والأمهات وتنعدم عند الأطفال.
فانتشار اللغة العربية وانحسار اللغات المحلية في الواقع السوداني يعنى أن العربية لا تنتشر من فراغ، بل عن طريق احتلال مواقع اللغات المحلية تدريجياً، أو نتيجة لاستخدامها في المجالات المستحدثة كالتعليم العالي والفني وفى الدبلوماسية والتجارة الخارجية وغيرها.... والتي لا تقوى اللغات المحلية على التعامل معها في ظل التوزيع لعلاقات القربى بين المتحدثين بهذه اللغات المحلية من جهة وبين المتحدثين بالعربية من جهة أخرى، ونتيجة لعدم تطوير اللغات المحلية وإعدادها للاستخدام في تلك المجالات.
لذا فقد تم في كثير من مناطق التداخل اللغوي التحول اللغوي لصالح اللغة العربية باكتساب أهل هذه المناطق اللغة العربية كلغة أولى - أي اللغة الأم – وهذه المرحلة هي مرحلة التخلي عن اللغة المحلية.
فقد كانت اللغة العربية هي لغة التخاطب بين المجموعات اللغوية المختلفة، ثم أصبحت مشاركة للغة المحلية في التخاطب بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، والآن هي اللغة الأم واللغة المحلية سارت لغةً ثانية، وعما قريب سوف تكون العربية هي اللغة الأولى والأخيرة في الساحة بدون منازع. فالمستقبل- من خلال ذلك- بشير إلى أن اللغة العربية هي لغة المستقبل في هذه المناطق.
إن السودان قطر مترامي الأطراف يعيش أهله في رقعة واسعة، تختلف فيها الثقافات والألسنة والعادات والتقاليد، وتتباين فيه الأعراق والأجناس، إلا أن معظم أهله يتخاطبون فيما بينهم باللغة العربية، ومن هذا المنحى فإن اللغة العربية تعتبر رمز الوحدة الوطنية، فقد أصبحت واقعاً لابد أن يستوعبه الجميع.
وتمثل العربية أهم الدعائم الرئيسة للوضع اللغوي في السودان من حيث دائرة الانتشار، فهي اللغة القومية التي يتحدث بها أغلب السكان، إما كلغة أولى أو كلغة للتخاطب المشترك الذى يربط بين متحدثي اللغات المحلية من ناحية، وبين متحدثي اللغات المتباينة الذين يعجزون عن فهم بعضهم بعضاً من ناحية أخرى، وذلك بالإضافة إلى استعمالها في المجالات الرسمية للدولة، إذ يتعامل بها الأفراد في دواوين الحكومة والإعلام على امتداد القطر ما عدا أجزاء محصورة في القطر وبعض مجالات التعليم العالي.
ولابد من الإشارة إلى أن العربية تلعب مجموعة من الأدوار المهمة اليوم بالإضافة إلى ما ذكرناه من قبل، فهي التي تلعب الدور اللغوي الرئيس في عملية التواصل بين الأمة السودانية، ففي التعليم الرسمي والشعبي تستعمل عربية قياسية لغةً للتدريس على كل المستويات في كل بقاع القطر. وبالتالي يصبح من المهم دراسة الاتجاهات اللغوية والعوامل التي تعمل على توجيهها طالما أن التنمية الوطنية تتأثر كثيرا بما ينتج عنها.
واللغة العربية واللهجات المحلية والعامية يكمل بعضها بعضاً في مواقف اجتماعية شتى في كل بقاع السودان، علاوة على قيام العربية بوظيفة اللغة الهجين وسط كل المجموعات العرقية المختلفة، كما تستعمل بصورة رئيسة وسيلة للاتصال على الأصعدة الوطنية العامة والرسمية، كما تستعمل حال الاتصال خارج نطاق المجموعة. فعلى سبيل المثال نجد عربي جوبا ينتشر انتشاراً واسعاً في إقليم جنوب السودان، وأنه قد حظي بشعبية واسعة، كوسيلة اتصال راقية

وسط مواطني الجنوب. فالشخص من الزاندي مثلاً لا يمكنه الاتصال بشخص آخر من جنوب السودان دون استخدام عربي جوبا .
فاللغة العربية في صورة من صورها كانت أداة التفاهم بين مختلف المجموعات والقبائل الجنوبية وكانت التماس في المناطق الشمالية على حدود دارفور وكردفان وفى المناطق الجنوبية على الحدود الأوغندية وكينيا وهى مناطق زاخرة بالتواصل اللغوي والديني بين المجموعات المسلمة في كلا الجانبين. كما كانت حلقة الوصل فى العواصم الجنوبية في (جوبا، ملكال، واو) حيث يتضاعف هذا التواصل بفعل المصالح التجارية والاجتماعية المختلفة بين المتحدثين بالعربية ممن يسمون بالجلابة ويسميهم أهل الجنوب (المندكورو) وبين مختلف المجموعات الجنوبية.
وقد انتشرت العربية في جميع فئات المجتمع السوداني، وليس ذلك بسبب كونها لغة رسمية أو لغة دين، بل لكونها عامل اتصال بين أشخاص مختلفي القبائل، فهي الآن لغة وصل بين كل مكونات المجتمع السوداني، المسلمين، المسيحيين، اللادينيين، وغيرهم، وأهم ما يلاحظ فيها كونها متنوعة اللهجات، فبجانب الطريقة الرسمية الفصحى هناك عربي دارفور، وعربي جوبا، كما أن هناك فئات في شمال البلاد لديها طرق تختلف عن بعضها في النطق بالعربية وإن كان ذلك قليلاً.
وعندما يتم طرح مسألة الاعتراف باللغات المحلية كلغات موازية ونظيرة للغة العربية في الدولة السودانية، يثار موضوع الوحدة الوطنية.
يجب أن يستدرك معارضو هذه المسألة بأدلة تفضيل العربية قبل كل شيء آخر، فاللغة العربية هي اللغة الأولى في الوعي الجماهيري لأنها لغة الكتاب - السماوي -، القرآن الكريم، بالإضافة إلى أن الاعتراف بالثنائية اللغوية سوف يلقى الدولة السودانية بمواطنيها داخل أتون الفرقة والشتات وكراهية الآخر لأن العقليتين السائدتين اليوم، تفتحان باب كراهية الآخر على مصراعيه، عقليتي الآخر اللغوي، فرغم كون اللغات العربية السودانية، ليست بأي شكل من الأشكال عربية فصيحة، بل أن العربية الفصيحة لا يمكن أن يتكلمها السوداني بالسليقة دون العودة لوسائل التعليم والإعلام، فالعربية الفصيحة لغة – تكاد – تكون – ميتة -، لكن بدون الخوض في مسألة اللغة الواحدة – العربية – التي يطالب بها أولئك ، تعتبر اللغة العربية نواة الوحدة – القومية – لا الوطنية، وهذا عائق آخر من عوائق تكوين المجتمع المدني الذي يعترف بكل طوائفه ومكوناته.
ولعل الوضع اللغوي لدى تكوينات الجنوب القومية والقبلية يقدم أيضاً مثالاً ساطعاً آخر على توطن ضرب من العربية (عربي جوبا) كأداة للتواصل في ما بين هذه التكوينات نفسها، من جهة، وفى ما بينها ومجتمعه وبين بقية التكوينات الاثنية في البلاد من الجهة الأخرى. فالدكتور بول شول دينق، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة جوبا، يلاحظ أن د. قرنق يخاطب قواته باللغة العربية، ولغة الكنائس هي العربية، والصلوات تقام بالعربية، والجمعيات التبشيرية تمارس نشاطها بالعربية ، وتكشف أهم نتائج الدراسة التي أعدها الأستاذ آدم سعيد كباوة، من قبيلة المندارى، لنيل درجة الماجستير حول اتجاهات شباب الجنوب وخياراتهم نحو القضايا الفكرية والسياسية، تطبيقاً على 500 عينة، أن اللغة العربية هي لغة التواصل بين الجنوبيين. وعلى الرغم من أن موسى المك كور يتحدث عن صعوبات تواجه الجنوبيين مع اللغة العربية، حيث أن ".. هنالك 14 حرفاً عربياً لا توجد في لغة الدينكا مثلاً"، فإن آدم كباوة يقلل من أثر هذه الصعوبات، مُحيلاً أسبابها، من ناحية، إلى سياسات الإنجليز والحكومات الوطنية بعد الاستقلال، ومؤكداً، من الناحية الأخرى، أن أي جنوبي أتى إلى ملكال، مثلاً، تعلم عربي جوبا كلغة للتواصل الشعبي، على حد تعبيره . ويؤكد الشيخ أحمد مرجان، أحد مؤسسي المدرسة العربية بجوبا عام 1945 وأحد المشاركين لمدة عشر سنوات في حركة أنيانيا المسلحة ضد الحكومة المركزية في الخرطوم قبل إبرام اتفاقية أديس أبابا لسنة 1972، بأن اللغة العربية الممزوجة باللغات المحلية كانت هي أداة التخاطب بين المحاربين في الغابة، كما ويلاحظ أن ثمة أكثر من

70.000جنوبي تخرجوا أو ما زالوا يدرسون بجامعة جوبا باللغة العربية، مِمَّا يدعم انتشار العربية في أوساط الجنوبيين
إذن، ولئن كانت اللغة تنتشر بفعل عوامل تاريخية شتى، كالدين مثلاً أو التجارة أو تبنيها من جانب الحكام أو ما إلى ذلك، فإن المعطى التاريخي العياني الماثل والذي لا تجوز المكابرة فيه هو أن اللغة العربية ما زالت تكتسح الساحة أمام اللغات المحلية الأخرى .

الخـــــــاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والذي أفاض علىَّ بمنه وكرمه فأكملت هذه الورقة ، وبعد هذه الجولة الفسيحة من البحث والتنقيب والاطلاع، يجدر بي في خاتمة المطاف أن أضع أبرز النتائج والتوصيات كما أسأل الله أن يجعله عونا لإخواني الباحثين .

النتائج :

من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي :

1- أن حالات الصراع اللغوي ثلاث ، هي : صراع بين لغة وأخرى أجنبية ، صراع بين لغة وأخرى داخل لغة واحدة (لهجات) ، صراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحدة.

2- أن من أهم العوامل المؤدية للصراع اللغوي العوامل الخارجية (العلمية ، العولمة) ، والعوامل الداخلية (تعليم اللغة الأجنبية والتعليم باللغات الأجنبية ، سوق العمل ، الإعلام) .

3- العوامل الداخلية أشدّ تأثيرًا من الخارجية ؛ لأنها تغذي المواقف النفسية والجوانب الانهزامية .

4- ضرورة التفريق بين التعليم باللغة الأجنبية وتعلّم اللغة الأجنبية ؛ لأن تعليم العلوم بها له آثار سلبية ، وتعلّمها مطلب لملاحقة التطور ومواكبة المستجدات في العصر الحديث ؛ لأن تقدم الأمة مرهون بلغتها الأمّ .

5- أن تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة يؤثّر سلبًا على تعلم اللغة العربية وثقافتها .

6ـ كان للامتداد النوبي تاريخيا الي جنوب الخرطوم الحالية وهجرات نوبية كثيرة في ازمنة مختلفة لها بالتأكيد اثر كبير في ان تستعير العربية والتي هي لغة غالبة في وسط السودان وشماله الجغرافي وغربه مفردات منها .

التوصيات :

من التوصيات التي يرى الباحث العمل بها ما يأتي :

1- وضع برامج متعدّدة في القنوات الإعلامية العربية تعنى باللغة العربية .

2- التأليف بالعربية لأبنائها وفق المنهج التكاملي في جميع المراحل عامة والأوّليّة خاصة.

3- إيجاد قنوات وعلاقات قوية ذات تأثير بين الجهات التي تعنى باللغة العربية (المجامع ، المراكز ، الجمعيات ...) والإعلام بشتى وسائله ؛ لإبراز أهمية هذه الجهات ودورها وأعمالها ونتائجها ، وتتبنى قراراتها وتوصياتها ... .

4- الإفادة من الطرق الحديثة المتّبعة في تعليم اللغات الأجنبية وتطبيقها في تعليم اللغة العربية.

5- إقامة حملة أو تخصيص أسبوع موحّد في أقطار العالم العربي يقوم على أساس العناية باللغة العربية ، وتوضيح أهميتها ومكانتها في النفوس ... .

6- وضع استراتيجية للتخلص من العوامل الداخلية تسعى إلى التوازن في التعامل مع اللغات الأجنبية .

7- غرس ثقافة الاعتزاز باللغة العربية .

8- نشر ثقافة صلاحية العربية للعلوم الحديثة .

9- تفعيل نقل العلوم إلى العربية (الترجمة).
10- تشجيع الباحثين المتخصّصين على إعداد المؤلفات التعليمية في العلوم العلمية .
11- جعل التمكن من اللغة العربية أحد متطلبات الالتحاق في سوق العمل .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا في خدمة اللغة العربية التي كرمها الله تعالى وجعلها لغة لكتابه الكريم .

د. محمد الحسن مختار بلال
السودان ـ جامعة الإمام المهدي ـ كلية الآداب ـ الجزيرة أبا

ثبت المصادر والمراجع

1ـ قاموس اللهجة العامية في السودان ، عون الشريف قاسم ، المكتب المصري الحديث ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1985
2ـ التكوين الثقافي والحضاري لسودان وادي النيل فيما قبل المهدية ،مهدي المأمون أبشر، مجلة الثقافة السودانية ، العدد 20، اكتوبر 1983
3ـ كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، أسماء محمد إبراهيم حمد ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربي ،
4ـ النوبة الأصل والتاريخ ، سامية بشير ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد الرابع عشر 19966
5ـ التنوع الثقافي والتداخل اللغوي جابر محمد جابر ـ مارس 200(0م).
6ـ من ثقافة وتاريخ النوبة فؤاد عكود (2007)
الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جني ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1955
7ـ المقدمة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ط ، باريس 1958 مكتبة لبنان
8ـ محمد مهدي أحمد ، زكريا علي أحمد ، جامعة الخرطوم ، بحث منشور في بمجلة "الدراسات السودانية عام 1991

المصادر الأجنبية

1 Stevonson. R.C(1984) The Nuba People of kordofan Province

Unversity Of Khartoum

2 Trigger Bruce(1976): Nobia under the pharaohs london

3 Macmichael Harold(1996) A History of the Arabs in the Sudan Vol 1 London

4 Arkel A .J(1955) History of the Sudan From the Earliest time to 1821 University of London